

إضاءة حول الرواية البوليسية عند العرب

طالب الماجستير وليد عبد الكريم محمد النويني

waleedalnwiny@yahoo.com

جامعة فردوسي مشهد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

وأدائها - إيران

الأستاذ المشارك الدكتور حسين ناظري

hosein_nazeri@yahoo.com

جامعة فردوسي مشهد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

وأدائها - إيران

الأستاذ الدكتورة ميساء صلاح وادي السلامي

Maysaa.alsallami@uokufa.edu.iq

جامعة الكوفة - كلية العلوم السياسية - العراق

Illumination about the detective story among the Arabs

**Master's student Waleed Abdulkareem Mohammed Alnuwani
Ferdowsi University of Mashhad , College of Arts And Humanities ,
Department of Arabic Language and Literature , Iran
Associate Professor Dr. Hosin nazeri
Ferdowsi University of Mashhad , College of Arts And Humanities ,
Department of Arabic Language and Literature , Iran
Professor.Mysaa S.ALSalame**

Abstract:

Universty Of kufa , college Faculty Of
Political sciences , Iraq

Recently the detective story has been a source of inspiration for many novelists, as the detective story relies on three elements: the killer, the victim, and the investigator. These axes are considered the basic elements in forming the focus of the police fictional text. In general, this study dealt with the emergence of the detective story and identified its historical roots, and then discussed the delay in its appearance among the Arabs by citing a set of reasons for many critics and novelists, and relied on clarifying the concepts of this modern literary genre. In this study, the researcher relied on the historical method in revealing the history of the detective story in world literature on the one hand, and on the other hand Arab literature, and then the research came to the conclusion that the detectvie story with its artistic characteristics appeared at the hands of the American writer Edgar Allan poe.

Key words : The Arabs , The Detective Fiction , Technical Characteristics , Adgar Aln Po , Twenty - First Century .

الملخص :

شكلت الرواية البوليسية في الآونة الأخيرة مصدر إلهام للكثير من الروائيين، حيث تعتمد الرواية البوليسية على ثلاثة عناصر هي : القاتل، والضحية، والمحقق. وتعتبر تلك الأقطاب العناصر الأساسية في تشكيل بؤرة النص الروائي البوليسي. عموماً فقد تناولت هذه الدراسة نشأة الرواية البوليسية، وحددت جذورها التاريخية، ثم بعد ذلك ناقشت تأخر ظهورها عند العرب بذكر مجموعة من الأسباب للعديد من النقاد والروائيين، واعتمدت على توضيح المفاهيم الخاصة بهذا الجنس الأدبي الحديث. واعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التاريخي في الكشف عن تاريخ الرواية البوليسية في الأدب العالمي من جانب، ومن جانب آخر الأدب العربي، ثم توصل البحث إلى نتيجة مفادها، ان الرواية البوليسية بخصائصها الفنية ظهرت على يد الكاتب الأمريكي إدغار الآن بو.

الكلمات المفتاحية : العرب – الرواية البوليسية – الخصائص الفنية – أدغار الآن بو – القرن الحادي والعشرين .

المقدمة :

تعد الرواية البوليسية أحد الأجناس الأدبية، التي حققت انتشاراً واسعاً في الغرب، فقد ولد هذا الجنس الأدبي مع خصائصه الفنية في منتصف القرن التاسع عشر بعد الثورة الصناعية التي حدثت، فأرتبط ظهور الرواية البوليسية بظهور الطبقة البرجوازية آنذاك. وكان أول ظهور لها على يد الكاتب الأمريكي إدغار آلان بو الذي نشر أول مرة سنة ١٨٥٢م، كتابه (حكايات الغموض والخيال والرعب)، الذي اختص بالقواعد والخصائص العامة للأدب البوليسي، وبالتحديد في حكاياته الثلاث (قضية ماري روجيه الغامضة)، (الرسالة المسروقة)، (جرميتان في شارع مورغ).

أما الأدب العربي فكان ظهور هذا الجنس الأدبي متأخر جداً، حيث كان ظهوره في ستينات القرن العشرين، فشهد بداية القرن الواحد والعشرين دخول العديد من الروائيين للكتابة بهذا الجنس الأدبي، الذي أصبح لديه قاعدة جماهيرية تضاهي الأجناس الأخرى. عموماً فقد قامت هذه الدراسة بتسليط الضوء على أسباب عزوف الكتاب لهذا الجنس من الأدب، وناقشت أهم الأسباب في تلكؤه، الذي كان في أوج نضوجه وازدهاره عند الغرب، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، حتى كانت هذه الفترة تسمى بالعصر الذهبي للرواية البوليسية.

الرواية البوليسية**جذورها :**

عند الحديث عن نشأة الرواية البوليسية (Detective Story)، نجد صعوبة في تحديد جذورها كغيرها من الأجناس الأدبية، وما زال النزاع بين المهتمين بنشأته مستمراً إلى يومنا هذا، إذ ينقسمون إلى عدة أقسام :

منهم من يرجع جذور القصة البوليسية إلى عهود سحيقة، وفي هذا تقول موسوعة لاروس الكبرى الفرنسية: يجد المؤرخون أصولاً عديدة للرواية البوليسية في التحقيقات الدقيقة التي تستخدم في الأساطير البدوية، وفي الحكايات الشعبية (الفولكلورية) لكثير من الشعوب، فمسرحية (الملك أوديب)، التي عرضت في عام ٤٢٩ قبل الميلاد لسوفوكليس، هي تحقيق يتناول جريمة وقعت والبحث عن القاتل. ونصر الدين شخصية

شعبية في الشرق العربي، وهي التي أوحى إلى فولتير شخصية (صادق) واستباطاته الذكية^(١).

فيما يرى آخرون، أن جذور الرواية البوليسية تعود إلى الكتاب العرب، وتذكر (مالتى دوغلاس)، ذلك من خلال شخصية الخليفة المعتضد بالله، من القرن التاسع ميلادي، التي يوردها ابن الجوزي في كتابه (أخبار الأذكىاء)، فتتناول الباحثة قصة (قضية اليد المصبوغة) التي ترشحها لتكون رواية بوليسية، بسبب البنية الأساسية للحكاية:

إذ يواجه المعتضد الشخص المتهم بالأدلة، وباليد والقدم التي عثر عليها، ويعترف الجاني. ثم يحرص المعتضد على أداء كل ذي حق حقه، فيدفع الدية لأهل المجني عليه، ويعاقب الفاعل على ما اقترفه. بعبارة أخرى تقول مالتى دوغلاس: "نحن هنا أمام التحري عن جريمة، والتدابير التي يتخذها الخليفة هي الخطوات المعتمدة لكشف هوية القاتل"^(٢).

وتتقاطع هذه القصة مع قصة رواية التفاحات الثلاث، بكتاب ألف ليلة وليلة، في كثير من تفاصيلها، القصة التي حكته شهرزاد للملك شهريار في الليلة التاسعة عشرة والعشرين، وكان مختصرها أن صياداً وجد صندوقاً به كنز في البحر، فاشتره منه الخليفة هارون الرشيد، فأمر بفتحه فوجد فيه جثة لفتاة، القصة حملت نوعاً من الغموض، وتتابع التحقيق على يد البرمكي بشكل مشابه لما هو موجود في الرواية البوليسية الحديثة^(٣).

إلا إن هنالك من يرجع نشأة هذا الجنس الأدبي إلى حادثة هاييل وقايل التي ذكرت في الكتاب الحكيم في سورة المائدة، والتي نصت {واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل، من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلك، قال إنما يتقبل الله من المتقين، لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين...}^(٤)

وفي الحقيقة عند إرجاع نشأة هذا الأدب إلى أول من كتب فيه، نجد أنفسنا قد سلطنا طريقاً وعرافاً ولا نغالي إذا قلنا إننا في نفق مظلم، إلا إنه يجب علينا الميل إلى موضع يزيل الغبار عن هذا المفهوم ويوضح لنا ماهيته، سواء في الأساطير أو في النص القرآني. يكاد

الجميع يجزم بأن ملامح هذه الرواية كانت موجودة منذ نشأة الإنسان ولا غبار على ذلك، إلا إن أول من كتب بالخصائص الفنية الشاملة للرواية البوليسية وأسس معظمها وأستخدم الغموض والإثارة فيها وزج القارئ بها، هو الكاتب الأمريكي الشهير إدغار آلان بو (1803-1849).

ويرى بهذا الصدد الدكتور عبد القادر شرشار "أن ظاهرة القتل موجودة في الأجناس الأدبية كلها منذ ظهور الأدب المكتوب، إلا أن كل هذا لا يعني أن كل حادثة قتل معبر عنها بنص مكتوب، هي سمة فنية تدخل تحت فن الأدب البوليسي، وإنما هنالك سمة مشتركة بين سائر فنون الأدب، ونعني بها الخيال الذي يشد القارئ أو المستمع إليه في كل من الأسطورة الإغريقية، وألف ليلة وليلة، والرواية البوليسية"^(٥).

تأخرها عند العرب

يعد الأدب البوليسي من أكثر الأجناس الأدبية انتشاراً ورواجاً في الغرب على الصعيد الأدبي والسينمائي، وعلى الرغم من غزارته عند الغرب إلا أن ظهوره عند العرب كان متأخراً رغم المحاولات الحاصلة في القرن العشرين التي سعت لكتابة رواية متكاملة رغم نقصها.

"لو أجرينا استطلاعاً حول قراءات المثقفين العرب، فمن المتوقع أن تغيب الرواية البوليسية عن قائماتهم المعلنة، وإن حضرت فستحضر ضمن قراءات الطفولة والمراهقة. إن قراءة هذا النوع من الروايات يعد في رأي المثقف العربي بمثابة تهمة قد تسقط عنه امتياز (النخبوي)، وتدخله في باب الشعبوي والسطحي والتشويقي. وإذا ما سألنا هذا المثقف عن القيمة التي تحققها له قراءة الروايات البوليسية جمالياً وإنسانياً فإنه سيسعى إلى حصر دورها الجمالي بما تمنح الرواية للمثقف/ الكاتب من قدرة على توظيف التشويق في كتاباته. أي أن الرواية البوليسية لا تحضر كمادة مكتملة وناضجة، بل كمادة خام، لذلك ينصح المراهقون والكتاب المبتدئون بقراءة هذا النوع"^(٦)

وهنالك جملة من الأسباب التي تبين عزوف الكتاب وتأخر انتشارها لدى العرب: "أن مفهوم (العييب) و(الحرام) هما سبب لجم هذا النوع من الأدب وإسكاته، فالأدب البوليسي عامة يتكئ على الجريمة التي هي فعل لا أخلاقي، بتفاصيلها الصغيرة والكبيرة، وفي حال لو امتلك الكاتب مواد جريمة حقيقية، مثيرة، ومشوقة، فإنه ليس من

السهل عليه أن يملك الجرأة لكشفها من خلال النص، لذلك فهو يدفع دفعاً للترميز، والتورية، لكيلا يقع في مأزق التعدي على التابوهات، هذا المأزق والتجاء الكاتب للغة تنقذ نضه من التهشم، هو ما يفقد النص القيمة الأهم في الكتابة البوليسية: التشويق^(٧). فالمجتمع العربي "ما زال بعيداً عن أن يفرز حبكة بوليسية، فالدراما البوليسية غائبة عن الساحة الأدبية، ولأن مثل هذه الحبكة لا تخرج إلا من مجتمعات تجاوزت القبلية، وحملت من التعقيد ما لا تعرفه مجتمعاتنا التي يحسب الكاتب حساباً لما يحتمل أن يمس طواطمها الكثيرة"^(٨).

ويلق الروائي سيد الوكيل على عدم ازدهار قيمة الجريمة في الرواية العربية مقارنة بالغربية بقوله: "ربما لأننا نعيش في مجتمع بوليسي تنفسه يوماً، أما المجتمع الأوربي فيتعامل مع هذا الأدب بوصفه لوناً طريفاً، وعدّ الوكيل أن أوروبا استطاعت أن تحدث نهضة حقيقية في مجال رواية الجريمة والرواية البوليسية في القرن الماضي، وذلك في إطار محاولتها إيجاد مخرج لمأزق الرواية الذي واجهته الرواية الأوربية، التي واصلت تطوير هذا اللون الأدبي حتى أصبحت الرواية البوليسية بحثية"^(٩).

ويستنتج أمين خالد دراوشة، "أن غياب الرواية البوليسية عن الساحة الأدبية العربية ناتج من انشغال الكتاب بالهم الوطني، وتركيزهم في آفات المجتمعات العربية من فقر وأمية وقهر وظلم واستبداد، كما أنه من الصعب أن تسمح الأجهزة الشرطية في الدول العربية، بنشر القضايا الجنائية التي تنفّس في مجتمعاتنا، بحجة خطورة ذلك على المجتمع، ومحاولة إخفاء كمية الجرائم البشعة"^(١٠).

إن غياب الرواية البوليسية في الوطن العربي في هذه المدة من القرن الحادي والعشرين، "له علاقة بالخلفية التاريخية، وهذا ما يتعلق بالثقافة اليومية التي اعتادها الإنسان العربي، والإنسان الغربي عامة والأوروبي خاصة، فالإنسان هناك ينظر إلى القراءة على أنها عادة يومية لا سبيل إلى التوقف عنها، لأنها زرعت فيه منذ الطفولة، ولا تقدر أي مغريات مهما كانت قوتها أن تثنيه عن تلك العادة، وعلى العكس من ذلك نجد الإنسان العربي في الغالب لا يقرأ إلا بالمصادفة أو لقتل الفراغ. لذا فالرأي هو أن الأدب البوليسي لم يتراجع، ولكن الذي تراجع هو قراء هذا النوع من الأدب في عالمنا، شأنه في ذلك شأن الأصناف الأخرى من الأدب"^(١١).

فيما لخص الدكتور عبد القادر شرشار جملة من العوامل، أدت إلى تلكؤ ظهور الرواية البوليسية نستخلص منها ما يقول: "إن الواقع الأليم للمجتمع العربي بعد أن بذر فيه الاستعمار الاستيطاني بذور النزاع، وانحلال علاقات القرى والتضامن الجماعي. وعلى الرغم من ذلك بقيت ثوابت اجتماعية وأخلاقية. حالت دون ترسيخ أدب بوليسي بالمواصفات الغربية في الأدب العربي" (١٢).

كما يرجع هذا الغياب إلى: "تأثير الاستعمار في السلوك الفردي والجماعي للمواطن العربي، وإلى سياسة العمران والتخطيط في المجتمعات المستعمرة، بتزايد السكان بالمناطق الشمالية القريبة من المناطق الصناعية. وتكاد ظاهرة تكدس السكان في الوطن العربي تمثل أزمة اجتماعية، وإن كانت ظاهرة حضرية في المجتمعات الغربية لأنها تساعد على نمو الحس السياسي، وتبلور مفهوم الأيديولوجية الاقتصادية. ولعل مرد هذه الأزمة يعود إلى حس الأنانية وحب الذات المختلفين في المجتمع الغربي والمجتمع العربي" (١٣).

وبالنسبة إلى قلة الإنتاج في هذا الجنس الأدبي، "فلأسف هو ليس وحده من يعاني من هذه المعضلة المثيرة للاهتمام، فثمة أجناس أخرى تعاني من المشكلة نفسها، ومنها رواية الخيال العلمي ورواية المغامرات وروايات الشباب، ولعل لذلك أسباب عدة أهمها في رأيي عدم رسوخ الفن الروائي عامة في التربة العربية بالشكل المطلوب، ثم عدم احترافية الكتاب، فأغلب روائيينا إن لم نقل كلهم هواة، لا يتفرغون بشكل كلي للكتابة. ثم هناك من ينظر بعين الاحتقار والاستصغار للرواية البوليسية، وكأنها ليست جنساً أدبياً قائم الذات، له تقنياته وخصائصه وصعوباته كذلك" (١٤).

فيما وضع بوشعيب الساوري غياب الرواية البوليسية في نقاط نستخلص بعضها منها (١٥):

- ارتباط إنتاج الأدب في الوطن العربي بالنخب، وعدوا هذا الأدب أدباً هامشياً شعبياً لا يرقى إلى مستوى الأدب.
- النقد اللاذع لرواية الشيء الآخر لغسان كنفاني، جعل الكتاب العرب ينفرون من هذا الجنس الأدبي، وهذا ما جعله متذبذباً في الأدب العربي.
- طبيعة الأنظمة السياسية العربية، القمعية في الغالب، ويصعب جداً أن تسمح الأجهزة الشرطية بنشر القضايا الجنائية، على الرغم من ارتفاع معدل الجريمة.

• هيمنة الجانب الأيديولوجي والسياسي والاجتماعي على الرواية العربية، وعناية الدراسات النقدية بالجوانب الشكلية والجمالية، وهذا أدى إلى تلكؤ الرواية البوليسية لعدم تركيزه على الجوانب الشكلية واللغوية. وفي جوابها عن سؤال: هل هناك رواية بوليسية عربية؟ أكدت نعمة خالدي أن هذا النوع غير غائب غياباً مطلقاً، بل يقع في المساحة الرمادية. ويعود ذلك إلى خمسة أسباب^(١٦):

الأول : غياب أصول الرواية البوليسية المتعارف عليها عن الرواية العربية.
الثاني : تخلف المنطقة العربية على المستوى العلمي والتكنولوجي وكذا المفاهيمي والفلسفي والسوسيولوجي

الثالث : هيمنة البلاغة والقدرية، على مستوى القراءة، وتعويد القارئ عليهما.
الرابع : غياب الشفافية في عرض الجرائم التي من شأنها أن تشكل تيمة معرضة على الخيال الروائي العربي.

الخامس : دفع تصنيف الرواية البوليسية بأنها رواية للتسلية، وأنها لا تقدم معرفة على الصعيد السياسي والفلسفي أو الاجتماعي، دفع العديد من الروائيين إلى العزوف عن كتابتها.

وفي المقابل لاقت الرواية البوليسية في العالم العربي الإهمال إلى حد التحقير، ومن شأنها وعدّها أدباً غير نظيف، أو أنها أدب المراهقين، لدرجة أن محمد البساطي، في تحقيق أجرته رشا عامر لجريدة الأهرام، تخوّف من كتابة هذا النوع مع أنه يحلم بكتابته «لأن هذا النوع من الروايات لا يمتاز بالثقل الأدبي، إذ يمكن عده من الاستسهال في الكتابة ولاسيما في مجتمعاتنا». في التحقيق ذاته أشار إدوار الخراط إلى أن انصراف الكتاب عن هذا النوع، يعود إلى ما تقابله الرواية البوليسية من النقد «بالترفع والاستعلاء، ومن قبل الكتاب باعتبارها رواية مُسلية كُتبت لتمضية وقت الفراغ خاصة»^(١٧).

ويقول الكاتب والناقد العراقي برهان شاوي: "أعتقد أن كتاب الرواية في البلدان العربي لا ينظرون إلى هذا النمط الروائي نظرة جدية، أو لنقل إنهم لا يحترمون الرواية البوليسية، لأنها كما هو معروف تكتب للتسلية كهدف أساسي، بينما يعمل بعض

الروائيين إلى تلك الروايات الأيديولوجية التي تتحدث عن هموم المجتمع، لأفكارهم الفلسفية أو السياسية، أو إشكالاتهم الوجودية"^(١٨).

فيما أشار الدكتور علي القاسمي في مقدمة ترجمة القصة البوليسية، إلى أن هناك مجموعة من الآراء التي عللها سبباً لعزوف الأدباء عن هذا الجنس الأدبي، الذي نال انتشاراً عظيماً حتى إن أكثر الروايات المترجمة انتشاراً هي الرواية البوليسية، التي تُرجمت إلى العربية وحقت نسب مبيعات لا تضاهي، مما يعني أن هذا الجنس الأدبي له قرأء تكاد نسبتهم تكون الأولى من بين الأجناس الأخرى. وقد طرح هذه المشكلة على العديد من الأدباء والنقاد، فيرى بعضهم أن القصة البوليسية هي نتاج المدينة الصناعية الغربية، فقد أفرزت هذه المدينة وسائل تقنية تساعد على اقتراف جريمة في الخفاء، كما زودت رجل البوليس بوسائل تقنية تعينه على الكشف عن الجريمة. وتغلب على المجتمع العربي الحالي خصائص المجتمع البدوي أو الزراعي أكثر من خصائص المجتمع الصناعي أو التقني"^(١٩). بمعنى أن الرواية أو القصة البوليسية لم تولد بسبب عدم توفر الظروف المناسبة التي تساعد على نشأتها.

ويميل بعضهم إلى الظن بأن القصة البوليسية "تستمد خصائصها من طبيعة الرجل الغربي، والإنكليزي على وجه الخصوص، الذي اشتهر بالقدرة على إخفاء عواطفه، وكنم مشاعره، وتمويه إحساسه، فقد يرسم على شفثيه البسمة الأخاذة، ويمسك على لسانه الكلمات المعسولة، في حين يضمّر في أعماقه أذى، ويبعث في نفسه مكروهاً. أما الرجل العربي فهو أقرب في تكوينه النفسي إلى طبيعة صحرائه منبسطة الأديم وسمائه صافية الزرقة وشمسه ساطعة الضياء، فأذا قتل فإنما يفعل ذلك غسلاً للعار أو ثأراً للشرف، وهو في هذا وذاك لا يخفي ولا يمارى"^(٢٠).

ويقول آخرون إن السبب وراء غيابها يعود إلى الكاتب العربي نفسه، "فالواقع العربي الاجتماعي فرض عليه الالتزام بإطار خاص، والتزامه بعدم الكتابة من أجل المال، وعلى أي حال فإن من الصعب أن يجد دور النشر التي تسمح بذلك، لاسيما أن كثيراً من الأدباء عدوا الأدب البوليسي غير جاد، وأن هنالك أدباء من الغرب نشروا قصصهم البوليسية تحت أسماء مستعارة أهمهم الكاتب سيسيل دي لويس الذي تربع

على إمارة الشعر البريطاني، والذي نشر قصصه البوليسية تحت الاسم المستعار (نيكولاس بليك) (٢١).

أما إبراهيم أصلان فيرجع غياب الرواية البوليسية في أدبنا العربي إلى "القيم الاجتماعية التي نعيش عليها والتي لا تتيح المجال واسعا لأي كتابة بوليسية من أي نوع. فمقولات (خليها على الله والصلح خير)، تجعل مجتمعنا يبدو مسالماً، رغم أنه في الواقع غارق في الجريمة. لكنها جريمة غير منظمة ليس بها أي نوع من الحبكة مثل جرائم الثأر والشرف والانتقام، وغيرها التي يصعب وصفها بالبوليسية. وهناك سببا آخر وهو أن الرواية البوليسية تقابل دوما بالترفع والاستعلاء من جانب النقاد والكتاب باعتبارها رواية مسلية كتبت خصيصاً لتمضية وقت الفراغ" (٢٢).

فيما يقول أمير تاج السر: "إن جنس الرواية البوليسية لن يكون من بين أجناس الكتابة العربية الشائعة في أي يوم من الأيام، وأي محاولة لكتابة رواية بوليسية بتلك الأدوات الفقيرة، والمخيلة غير المعدة جيداً، ستكون ضرباً من المغامرة التي تبعد القارئ عن القراءة العربية، أكثر مما تقربه إليها" (٢٣).

إن الكتاب العرب يمتلكون مهارة عالية وثقافة وإجادة الحبكة وخيالاً وذلك ما مكنهم من كتابة شتى أنواع الروايات وليس الرواية البوليسية فحسب، هنالك كتاب كتبوا بطريقة ومهارة عالية جداً نراها اليوم حققت انتشاراً.

وأما بالنسبة لتأخر ظهورها فهذا يرجع إلى بطء عجلة الثقافة آنذاك، أو بالأحرى إن الكاتب مكبل بقيود مجتمعية لا يستطيع الخروج عنها، وإذا خرج فقد تمتنع الدور عن نشرها. وكان الكتاب العرب يعتبروه أدباً خاصاً بالأطفال، فالعرب في طبيعتهم ينظرون للشيء الجديد نظرة استعلاء إذا كان يخالف واقعهم. وحديثاً مال الكتاب العرب إلى هذا الجنس الأدبي على الصعيد الأدبي والسينمائي بسبب النجاح الباهر الذي حققته، والأقبال الكبير من قبل القراء على هذا النوع الأدبي الجديد الذي طرأ على الساحة الأدبي.

رواد الأدب البوليسي عند العرب:

يشكل بعض النقاد على أن أول رواية بوليسية عند العرب، هي رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ (١٩١١-٢٠٠٦)، إذ ذهب آخرون إلى أن رواية الكاتب

الفلسطيني غسان كنفاني (١٩٣٦-١٩٧٢) الشيء الآخر، هي أول رواية بوليسية عند العرب، انطبقت عليها قواعد القصة البوليسية وخصائصها، وقالوا إن رواية نجيب محفوظ هي رواية ذات ايقاع بوليسي، بعكس رواية غسان كنفاني التي اعتمدت على الخصائص البوليسية، فكانت هي الأولى عند العرب، على الرغم من الذين رجحوا رواية التفاحات الثلاث لشهرزاد، بأنها أول رواية خاصة في أدب الجريمة كما أسلفنا سابقاً.

أما رواية (اللس والكلاب) لنجيب محفوظ، "فبالرغم من الجرائم المتعددة، والمطاردات المستمرة من قبل الشرطة، فإنها تظل رواية واقعية ابتعد فيها نجيب محفوظ عن واقعيته (التقليدية)، بعناصرها الهادئة في الوصف، والسرد، والتأمل، والاستبطان... في حين تؤلف الجرائم والمطاردة البوليسية مجرد عناصر ترميمية تؤثر الهدف الواقعي، بخلاف النص البوليسي" (٢٤).

يفتقر الوطن العربي لرواد كرسوا معظم أو نصف روايتهم لهذا الجنس من الأدب، كما رأينا في الغرب، وهذا لا يعني إنه لا يوجد منهم، بل يمكن عدهم على أصابع اليد. نذكر بعض من الرواد الذين كانت أغلب أعمالهم بوليسية منهم: الكاتب المصري الدكتور نبيل فاروق الذي وافاه الأجل ونحن بصدد كتابة هذا العمل، ويعد من ضمن الكتاب الذين أسهموا في إرجاع روح الأدب، ولاسيما أدب هذا الجنس في المجتمع العربي، الذي جرى عليه كثير من النكبات الأدبية بسبب الأزمات، والأنظمة الحاكمة والقيود القبلية لهذا المجتمع وغيرها من الأمور. لقد حقق عبر سلسلة (رجل المستحيل) الصادرة عام ١٩٨٤م، شهرة كبيرة، تتجاوز بما لا يقاس ما كان يمكن له أن يحققه بوصفه طبيباً، وأصبح بطله (أدهم صبري) أشهر شخصية روائية، في سلسلة صدر منها مئات الأعداد وحقت مبيعات بمئات الآلاف من النسخ في الوطن العربي، فقد عاش مع شخصية الرجل المستحيل أكثر من ربع قرن (٢٥). وكذلك المختص بكتابة الرواية البوليسية الكاتب المغربي ميلودي حمدوشي، وهو مختص بالقانون، وبالتحديد علم الإجرام قبل تخصصه في الرواية البوليسية، فقد ساعدته هذه الخلفية في كتابة الرواية البوليسية، ونذكر بعضاً من أعماله البوليسية أهمها (أم طارق، اغتيال الفضيلة، دموع من دم، ضحايا الفجر، ومخالبة الموت) (٢٦). والكاتبة الجزائرية الشابة أمل بوشارب التي

أصبح في رصيدها الروائي ثلاث روايات من الأدب البوليسي هي: (سكرات نجمة، ثابت الظلمة، في البدء كانت كلمة). "حيث تعد أمل بوشارب من أفضل المواهب الشابة على الساحة الأدبية الجزائرية، وروايتها الرائعة (سكرات نجمة)، من المقرر أن تظهر الرواية في الترجمة الإيطالية لغواردي في الخريف المقبل"^(٢٧)

ونذكر أيضاً بعضاً ممن كتبوا روايات بوليسية على سبيل المثال: الكاتبان الجزائريان بوعلام صنصال، وياسمين خضرة، والكاتبة اللبنانية نهى طيارة وروايتها البوليسية الوجه الثالث للحب^(٢٨). وفي العراق كانت هنالك روايات بوليسية منها: (الفيلم والصوص) لرضا الطيار، و (أشباح الليل، كمين في الأدغال) محمد شمسي، (الجار الغامض) عبد الإله رؤوف، (المهربون) محمد شاكر السبع، (سقوط طائرة البوينغ، منزل الغرائب) عبد الستار ناصر. والكاتب سعد محمد رحيم، الذي ترشحت روايته البوليسية (مقتل بائع الكتب) إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية سنة ٢٠١٧.

الخاتمة:

سلّطت الاضواء في هذه الدراسة على حقيقة مفادها، إن الأدب البوليسي يشكل جزء من الأدب السردي ويغطي بموضوعاته الواقع المجتمعي من حيث الجرائم والسرقات الجنائية التي يمر بها المجتمع. وقد حظيت الرواية البوليسية في الآونة الأخيرة بانتشار واسع، واخذت مساحة كبيرة لا بأس بها في الساحة الأدبية والثقافية، بحيث أصبحت تنافس الأجناس الأدبية الأخرى، وهذا الانتشار سبب لها اقبال كبير من الكتاب والقراء.

توصلت هذه الدراسة إلى نتائج نستخلص منها مايلي:

١. تعد الرواية البوليسية حديثة العهد من ضمن الأجناس الأدبية النثرية الطويلة والمشوقة، التي تتمتع بالألغاز التي يصعب فكّها، فيصاحب القارئ والمحقق بالعجز دون الاستسلام، وتلك الخاصية يتمتع بها الكاتب الحاذق في مجال الأدب البوليسي.

٢. دارت رحى الكلام ودار معها الباحث حول نشأة وجذور الرواية البوليسية، فوجد هنالك اختلاف في تحديد جذورها عند عدد من النقاد والدارسين لهذا النوع من الأدب، فغالبية الأجناس الأدبية تكون لنا سلسلة من الآراء المختلفة، نظراً لتعدد

كتب التاريخ، والاكتشافات الحديثة لخصائص شتى هذه الأجناس، ولكن هنالك نفر من الباحثين يقولون بأن أب الرواية البوليسية هو الكاتب الأمريكي الشهير إدغار الآن بو، وهذا ما يراه الباحث أيضاً، حيث ان إدغار كان مؤسس أكثر الخصائص الفنية لهذا الجنس من الأدب.

٣. أبحرت هذه الدراسة في البحث والتقصي عن أسباب عزوف الكتاب لهذا النوع من الأدب، الذي كان في أوج نضوجه وغزارته عند الغرب، مما تطلب من الباحث الحمل على عاتقه التوسع في معرفة اسباب تأخرها عند اغلب الباحثين في هذا المجال، الذين اختلفوا في ما بينهم على تحديد الموضع الصحيح لتأخر ظهورها. فأرست سفينة الرواية البوليسية في بحر الوطن العربي في ستينات القرن الماضي على يد الكاتب والروائي الفلسطيني غسان كنفاني، في روايته الشيء الآخر من قتل ليلي الحايك، ويجد الباحث ان الخصائص الفنية للرواية البوليسية تجمعت في الرواية آنفة الذكر.

٤. تطورت الرواية البوليسية في العقود الأخيرة، حيث انتقلت من الظلام الدامس الى النور الساطع، وهذا التطور كان سريع جداً، بحيث اكتسب هذا النوع من الأدب شهرة لا مثيل لها في وسط الساحة الثقافية، ولو امعنا النظر في اسباب التطور نجد إن ابداع اقلام الروائيين، ونظرة النقاد لها وشروع الباحثين في دراستها وقوام هذا الأدب الفريد من نوعه بعناصر مشكله له هي: الإثارة والتشويق والمفاجأة والإمتاع، وبذلك نجد اتساع رقعة قراء هذا الأدب من حين إلى آخر واكسبتها الشهرة الكبيرة.

هوامش البحث

- (١) ينظر: القصة البوليسية، جوليان سيمنوز، تر.د.علي القاسمي: ص ٩.
- (٢) لغز الرواية البوليسية في الأدب العربي، مجلة رصيف.
- (٣) الرواية البوليسية نشأتها وتطورها، رائد يونس النبراوي، مجلة الساسة.
- (٤) المائدة: ٣١-٢٧.

- (٥) الرواية البوليسية (بحث في نظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية)، د. عبد القادر شرشار: ص ٤٤-٤٣.
- (٦) القيمة الإنسانية والرواية البوليسية (الاحتفاء بالخطأ)، ربيع محمود ربيع، مجلة الأرشيف العدد ٣٥١، ١ أبريل ٢٠١٨: ص ٢٦.
- (٧) الرواية البوليسية العربية (غياب وحضور وتعثّر)، مريم غريس: ص ١٠٠.
- (٨) غياب الرواية البوليسية، أمين خالد درواشة: مجلة الجديد.
- (٩) الرواية البوليسية احتفاء القراء وإهمال النقاد: المجلة العربية .
- (١٠) المصدر نفسه: ص ١١ .
- (١١) الرواية البوليسية أدب من الدرجة الثالثة عربيا، رحيم هادي الشمخي: الثورة .
- (١٢) مرجع سابق، شرشار: ص ١١٤.
- (١٣) مفارقة الإنتاج والتلقي في الرواية البوليسية العربية، بوشعيب الساوري: ص ٧٦.
- (١٤) بهجة الرواية البوليسية، مصطفى لغتيري: مجلة الجديد .
- (١٥) ينظر: مرجع سابق، بوشعيب: ص ٧٧
- (١٦) المصدر نفسه: ص ٧٦.
- (١٧) الرواية البوليسية والأدب غير النظيف، ممدوح فراج الناي: مجلة الجديد.
- (١٨) موجودة في الأدب العربي لكنها لم تحقق لنفسها الخصوصية، برهان شابي: جريدة النصر.
- (١٩) مرجع سابق، د. علي القاسمي: ص ٢٥.
- (٢٠) المصدر نفسه: ص ٢٦.
- (٢١) المصدر نفسه: ص ٢٧.
- (٢٢) الكتاب يتعاملون معها باستعلاء، الرواية البوليسية مرفوعة من الخدمة، رشا عامر، تحقيق منشور بالأهرام العربي، مصر، العدد ٤٨٧، ٢٢ يوليو، ٢٠٠٦.
- (٢٣) الرواية البوليسية في الأدب العربي، أمير تاج السر: مجلة الجزيرة.
- (٢٤) القصة البوليسية في الأدب المغربي الحديث، عبد الرحيم مؤذن: ص ٨٣ .
- (٢٥) ينظر: الرواية البوليسية (احتفاء القراء وإهمال النقاد)، مجلة العربية: ص ١٤.
- (٢٦) ينظر: مفارقة الإنتاج والتلقي، بوشعيب الساوري: ص ٧١.

(٢٧) أدب الجريمة يتصدر المشهد الأدبي في المغرب العربي، مارييس لنكس كويلي، ٢٠٢١، ١٩،
الفنار للإعلام.

(٢٨) ينظر: مفارقة الإنتاج والتلقي في الرواية البوليسية العربية، بوشعيب الساوري، مجلة
فصول، العدد ٧٦، صيف - خريف ٢٠٠٩: ٦٩.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبدي به القرآن الكريم

- أدب الجريمة يتصدر المشهد الأدبي في المغرب العربي، مارييس لنكس كويلي، ٢٠٢١،
الفنار للإعلام.
- بهجة الرواية البوليسية، مصطفى لغتيري: مجلة الجديد، الاثنان ٤٠١-٢٠١٩.
- الرواية البوليسية (بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في
الرواية العربية)، عبد القادر شرشار، ٢٠٠٣، د. ط، من منشورات اتحاد الكتاب
العرب دمشق - سوريا.
- الرواية البوليسية احتفاء القراء وإهمال النقاد، المجلة العربية، العدد ٥٣٤، مارس
٢٠٢١، دار العربية للنشر والترجمة، مصر.
- الرواية البوليسية أدب من الدرجة الثالثة عربيا، رحيم هادي الشمخي، مجلة الثورة،
الأحد ٢٣-١٠-٢٠١١.
- الرواية البوليسية العربية (غياب وحضور وتعثّر)، مريم غريس، مجلة الأرشيف
العدد ٣٧، ١ نوفمبر ٢٠١٩.
- الرواية البوليسية في الأدب العربي، أمير تاج السر، مجلة الجزيرة، ٢٦-١١-٢٠١٢.
- الرواية البوليسية نشأتها وتطورها، رائد يونس النبراوي: مجلة الساسة، ١٨ مارس
٢٠١٩.
- الرواية البوليسية والأدب غير النظيف، ممدوح فراج النابي، مجلة الجديد، الاثنان
٤٠١-٢٠١٩.
- غياب الرواية البوليسية، أمين خالد درواشة: مجلة الجديد، الاثنان ٤٠١-٢٠١٩.

- القصة البوليسية في الأدب المغربي الحديث، عبدالرحيم مؤذن، مجلة فصول، العدد ٧٦، صيف - خريف ٢٠٠٩.
- القصة البوليسية، جوليان سيمونز، ١٩٨٤، تر: د.علي القاسمي، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر- بغداد العراق.
- القيمة الإنسانية والرواية البوليسية (الاحتفاء بالخطأ)، ربيع محمود ربيع، مجلة الأرشيف العدد ٣٥١، ١ أبريل ٢٠١٨: ص ٢٦.
- الكتاب يتعاملون معها باستعلاء، الرواية البوليسية مرفوعة من الخدمة، رشا عامر، تحقيق منشور مجلة الأهرام العربي، مصر، العدد ٤٨٧، ٢٢ يوليو، ٢٠٠٦.
- لغز الرواية البوليسية في الأدب العربي، مجلة رصيف ٢٢، الأحد ١١ أكتوبر ٢٠٢٠.
- مفارقة الإنتاج والتلقي في الرواية البوليسية العربية، بوشعيب الساوري، مجلة فصول، العدد ٧٦، صيف - خريف ٢٠٠٩.
- موجودة في الأدب العربي لكنها لم تحقق لنفسها الخصوصية، برهان شاوي: جريدة النصر، ٢١ سبتمبر ٢٠١٥.